وان تسمح جولتي في العواصم العربية، والازمة التي تلتها، بالنظر الى القضية الفلسطينية من زاوية الفعالية والنجاعة وبلوغ الهدف . وبذلك لا نكون خلّصنا قضية فلسطين فحسب، ووفرنا حلاً لهذه المشكلة المؤلمة التي تغيرت معطياتها منذ عشرين سنة، بل أعدنا الى العالم العربي وزنه أيضاً؛ ذلك ان الجدال والضجيج أظهرانا، في نظر الرأي العام العالمي وفي نظر الدول، بمظهر صبيان يعوزهم النضج السياسي. ورجائي الا تنفرد تونس عن بقية الدول العربية بالاتزان وحكمة القيادة وصواب التفكير، وان يكون للبلاد العربية الاخرى، أيضاً، رجال حكماء ووزن واحترام على الصعيد الدولي. واعتقادي ان الطريقة التي توخّيتها لا بد ان تفضي الى نتائج تتمخض، في النهاية، عن شيء يكون في صالح العرب والبلاد العربية والاسلامية. وعندها، سيعود الفخر الى تونس باعتبارها انها الدولة التي رمت البذرة الاولى وتحمّلت، من جراء ذلك، التهجمات والشتم، مثلما تحمّلتها طيلة ٣٠ سنة، الى ان انتهت الى ما هي عليه من بناء وطن محترم مهاب، ومن توفير للكرامة والعزة. ان الرشد والرجوع الى العقل والحق فضيلة، نتمنّى ان نلمسها في تصرف اخواننا وبني عمومتنا في المشرق العربي» («خطب بورقيبة»، **مصدر سبق ذكره**، ص ١١٠ ـ ١١٢).

وكلما اشتدت الحملات ضده، كلما اشتد بورقيبة في التصدي لها. وألقى خطاباً في مدينة تونس، بتاريخ ٢١/٥/١٩٦٥، كان، في الواقع، من أهم خطاباته حول القضية الفلسطينية . قال عن الدول العربية:

«وبدل ان تتجه الدول العربية الى التفكير في طريقة ايجابية للوصول الى الهدف، اصبحت تقتصر على اعلان المبدأ وترديده من وقت لآخر . وهو انه لا مفاهمة ولا مساومة . وبديهي انه لا نتيجة لذلك، الا الهاء الجماهير، والتخفيف من وطأة وخز الضمير، وبعث زائف الآمال في انفس ابناء فلسطين حتى لا يحاسبوهم على ما صنعت ايديهم، ولا يؤاخذوهم من ارتمائهم على الهزيمة كالمجانين . ان قادة الدول العربية يعترفون بكل هذا في الخلوات. وقد جمعتني محادثة مع رئيس حكومة دولة اضطرت الى التحالف، مكرهة، مع عبدالناصر، خوفاً من ان ينقلب عليها، وخشية من الفلسطينيين المقيمين في ترابها؛ صرح لي أثناءها بأسفه لانصراف الانكليز عن فلسطين. وقال: لو استمر حكمهم، لكانت الهجرة اليهودية محدودة، ولبقي الفلسطينيون في وطنهم . هكذا اصبح العرب يتحمسون على الاستعمار البريطاني. وانا لا أرى الذين تسببوا في نكبة فلسطين بالخيانة، بل كل ما اقوله انهم اساءوا التدبير، وخسروا من حيث ظنوا انهم كاسبون» (**المصدر نفسه**، ص ١٧٢).

وقال عن الشقيري، دون ان يذكر اسمه:

«وهناك رجل يحمل اليوم على تونس حملة نكراء، ويطالب باقصاء بورقيبة وتونس عن الجامعة العربية . وكان قد قال لي يوم زارني في قرطاج، ان جميع ما عرض علينا من حلول لقضية فلسطين، منذ عهد الانتداب، رفضناه، ولكننا، في كل مرة يعرض علينا حل، نندم على رفضنا لسابقه. وسألته عن سر هذا الرفض المتواصل، فقال: كنا نجامل الراي العام وندفع مع الجماهير في حماسها. فقلت له: ان واجب من يتولى قيادة الشعوب ان يرشدها الى ما فيه خيرها، ويشرح لها الظروف والامكانيات، ويضع لها الخطط، ويحملها على تنفيذها» (**المصدر نفسه**).

وعن عبدالناصر، قال حول اجتماعه به في مؤتمر القمة العربي (١/١/١٩٦٤):

«تحادثنا في الموضوع مع عبدالناصر، باعتباره يتحمّل مسؤولية أكبر في قضية فلسطين، وأوضحت له، بكل اخلاص، ان الموقف الذي يتمسك به العرب، لا يؤدي الى الغاية المنشودة. واستطلعنا رأيه فيما يخص المناداة بتطبيق كل قرارات هيئة الامم المتحدة، بما فيها قرار التقسيم وقرار عودة اللاجئين الى ديارهم الذي سيمكننا، فيما بعد، من المطالبة بتعديل قرار التقسيم وتغيير الوضع الحالي في فلسطين، واذا رفض الصهاينة تطبيق تلك القرارات، نخوض الحرب، باعتبارنا ندافع عن مقررات هيئة الامم المتحدة ونعمل على تطبيقها. وعندما عرضت عليه هذا الرأي، كنت اتوقع انني سأكون في حاجة الى بذل جهد لاقناعه بجدوى ما ادعو اليه. لكنني فوجئت، حين اعلمني انه هو، أيضاً، يرى الرأي نفسه، وان مؤتمر باندونغ سبق ان نادى بتطبيق قرارات هيئة الامم المتحدة. وهنا لفتُ نظره الى ضرورة توضيح ما نعني بالقرارات، حتى لا يبقى مفهومها، في نظر الصهيونية، يختلف عن مفهومها لدى العرب الذين يريدون ان يقفوا عند حد عودة اللاجئين؛ فأجابني انه موافق على